على طريق الأصالة

(٤٣)

ماذا حققت حركة اليقظة
في القرن الرابع عشر الهجري

أنور الجندي

ماذا حققت حركة اليقظة

فى القرن الرابع عشر الهجرى

حققت حركة اليقظة الإسلامية فى القرن الرابع عشر عدداً من الانتصارات التى غيرت مجرى المجتمع الإسلامى تغييراً جذريا وأعدته لاستقبال خطوات أكثر إيجابية على طريق الله تبارك وتعالى فى خلال القرن الخامس عشر ، هذه الخطوات والانتصارات يجب أن تكون موضع نظر ودراسة وتقدير الفاحصين لتطور هذه الأمة نحو الأصالة ونحو تحقيق رشدها الفكرى وتحررها من أغلال التبعية والتقليد والاحتواء والإذابة الذى عمد النفوذ الأجنبى على تحقيقها فى محاولة لصهرها فى أتون الأممية العالمية حتى يضيع طابعها الخاص وذاتيتها الربانية القائمة بالتوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً لتكون مؤهلة لحمل البشرية على الحق واضاءة طريق الله تبارك وتعالى أمامها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولنذكر أن النفوذ الأجنبى الذى فرض على المسلمين فى القرن الثالث عشر الهجرى والذى امتد إلى اليوم فى صور مختلفة منها الاستعمار والحماية والوصاية والتبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية فى مراحل مختلفة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر هو نوع فريد من التحدى الذى يختلف اختلافا واضحاً وعميقاً عما سبقه من مؤامرات

الاحتواء والسيطرة التي عرفت أبان حملات التتار والحروب الصليبية، ومؤامرات الشعوبيين والزنادقة فإن أخطر ماحدث في هذه الحملات الاستعمارية الأخيرة هو أن النفوذ الأجنبي قد أجلى المسلمين عن منهجهم السياسي والاجتماعي والتربوي بأن فرض عليهم نظماً وافدة، حملهم عليها حملا وكان مدخله إلى ذلك هو تغيير هوية التربية والتعليم وفرض أنظمة تعليمية مدخولة كونت أجيالا رفعها النفوذ الأجنبي وحماها وسلم إليها مقاليد الأمور وضمن حين أنهى وجوده السياسي والعسكري أنها ستمضي على الطريق .

ولكن الأمر لم يمض كما ظن النفوذ الأجنبي ورجاله من دعاة التغريب والغزو الثقافي فإن حركة اليقظة الإسلامية سرعان ما اشتد عودها وأصبحت قادرة على كشف الزيف والرد على الاتهامات ودحض الشبهات بما أعاد اعتبارها في نظر الأجيال الجديدة التي حاول التغريب خداعها والتغرير بها لتنظر إلى أمتها وعقيدتها ولغتها ودينها وشريعتها نظرة الاستشراق والتغريب التي روج لها سنوات عديدة عن طريق المدرسة والصحيفة والثقافة الوافدة .

ومن أهم الحقائق التي تعد انتصاراً في هذا المجال :

(أولا) : تصحيح المفاهيم فيما يتعلق بالقيم والشخصيات الإسلامية فقد توالت الحملات على (ابن خلدون) و (ابن تيمية)

و (الغزالى) بينما أزجيت عبارات التكريم والتقدير لابن سينا والفارابى والحلاج والسهروردى واستمر ذلك زمناً طويلا ، بل أن الاستشراق قد تمكن من خداع بعض المبعوثين إلى الغرب ليقدموا رسائل وأطروحات تقدم هذه الشخصيات الكريمة على أنها لا تمتلك قدراً كبيراً من العلم أو الفضل على النحو الذى فعله الدكتور طه حسين فى رســالة عن (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) التى قدمها واتهمه بالقصور والاضطراب متابعة لرأى دعاة المدرسة الاجتماعية الفرنسية التى كان يقودها اليهودى دوركايم والذى عاش طه حسين فى حضانة فكره وتابعه فى رأيه عن ابن خلدون ، ويجىء اليوم من الشعوبيين من يدعو إلى إعادة بعث هذا البحث المسموم ظناً منه أنه بحث علمى صحيح ولقد استطاع الباحثون المسلمون أن يدحضوا وجهة نظر التغريب والاستشراق والشعوبية ازاء هذا العالم الكبير الذى حظى فى السنوات الأخيره بتقدير المنصفين من الباحثين الغربيين على أساس أنه قدم ثلاثة علوم وهى :

تحليل التاريخ .

وعلم الاجتماع .

وعلم الاقتصاد .

وكذلك فقد كشفت الأبحاث عن فساد وجهة الفارابى وابن سينا

من الناحية الفلسفية (مع تقدير دورهم في الطب والعلوم) أما في الفلسفة فقد تبين أنهما كانا تابعين لمدرسة المشائين اليونانية وأنهما خضعا لمفاهيم الفلسفة اليونانية التي يقودها أرسطو وأفلاطون وإن فكرهما لا يمنع مفهوم الإسلام الحقيقي وإن مفهوم الفلسفة اليونانية الذي قدماه قد رفضه الفكر الإسلامي الذي يقوم على مفهوم التوحيد الخالص .

كذلك فقد تكشف مفهوم (الحلاج) و (السهروردي) في الفكر الذي قدمه بأنه لم يكن من الفكر الإسلامي الأصيل ولكنه كان مفهوماً زائفاً إستوحياه من الأفلاطونية التي كانت تمثل فكراً مسيحياً ويهودياً ممتزجا قبل الإسلام .

وكذلك انكشفت أهداف الاستشراق والتغريب وحوصر الاستشراق بعد ان انكشفت سمومه .

(٢)

(ثانياً) : عظمة الشريعة الإسلامية : والكشف عن مقاصدها الحقيقية ، وقد جاء هذا بعد أن سيطر النفوذ الأجنبي على العالم الإسلامي بالقانون الوضعي وحجب تطبيق الشريعة الإسلامية والاقتصاد الإسلامي لأول مرة بعد قرون من قيام هذا المنهج في عالم الإسلام ، وكانت تلك الدعوى العريضة التي حاول بها كرومر

ولافيجرى وغيرهما من قراصنة الاستعمار تشويه هذه الشريعة بالادعاء بأنها شريعة صحراوية متأخرة عفا عليها الزمن، فإن بعضاً من الأبرار من المسلمين المثقفين الذين قصدوا إلى الغرب وحملوا معهم رسائل عن الشريعة الإسلامية إلى جامعاتها فأثاروا مشاعر علماء القانون الغربيين الذين اعترفوا بفضل هذه الشريعة وعجبوا لعجز المسلمين عن تطبيقها قد توالت هذه الاعترافات عن طريق مؤتمرات للقانون العالمى التى عقدت سنوات ١٩٤٦ ، ١٩٥٢ وبعدها اعترفت فيها جماعات رجال القانون العالمى بأن الشريعة الإسلامية هى شريعة مستقلة ذات كيان خاص تختلف عن القوانين الرومانية وأن لها جوانب غاية فى القوة تستطيع أن تسعد البشرية وجاءت شهادة الفيلسوف الإيرلندى برناردشو غاية فى الإنصاف .

وكشف مسيو لامبير من كبار رجال القانون الفرنسى عن عظمة الشريعة الإسلامية ، وكيف أن الفرنسيين أخذوها من مذهب مالك ، وإن اختلف الرأى عما إذا كان ذلك عن طريق الحملة الفرنسية التى جاءت إلى مصر أم عن طريق الجزائر وتونس وفى نفس الوقت بدأت ظاهرة الكشف عن عظمة القرآن بأنه من عند الله وقد أيقن بهذه الدعوة كثيرون فى الغرب فى مقدمتهم موريس بوكاى .

(ثالثاً) استطاع الشيخ مصطفى عبد الرازق أن يعلن رأياً جديداً فى الفلسفة ، بعد أن استطرد المستشرقون الغربيون الذين قدموا

هذا العلم لطلابهم فى الجامعة بالقول بأن الفلسفة الإسلامية الحقيقية تبدأ من الفقه وعلم الكلام ، وأن منهم الإمام الشافعى فى علم أصول الفقه يعد بمثابة المنطلق الحقيق لهذا ، أما مدرسة الكندى والفارابى وابن سينا فهى لا تمثل الفكر الإسلامى الصحيح ، وبذلك أعيد اعتبار الإمام الغزالى الذى حملت عليه الفلسفة الحديثة ودعاتها لأنه أوقف تيار الفلسفة فى الإسلام حين أخرج كتابه تهافت الفلاسفة ، وكشف عن زيفهم فى ادعائهم بأن الله تبارك وتعالى لا يعلم الجزئيات أو أن المادة قديمة على النحو الذى ضللت به دراسات الفلسفة عدداً من المثقفين المسلمين ، وقد انكشف زيف كتابات كثيرة كرسائل إخوان الصفا والأغانى وأبى نواس . وتبين فساد المنهج الكلامى المعتزلى والفلسفى وعلت الدعوة إلى التماس منهج القرآن .

(رابعا) ما كشفه الدكتور محمد أحمد الغمراوى من أن ما قدمه طه حسين بدعوى إنه مذهب ديكارت باطل وزائف ، وأن طه حسين لم يقدم مذهب ديكارت على حقيقته ، وقد سارع الأستاذ محمود الخضيرى يترجم كتاب مقالة فى المنهج لديكارت ونشرتها المكتبة السلفية لتؤكد فساد ادعاء طه حسين ، الذى كان يظن أن أحداً لن يكشف خبيئته ، ولقد كشفت الأبحاث فى الأخير أن مذهب ديكارت مأخوذ من الإمام الغزالى ومن رسالة (المنقذ من الضلال) بل إن المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك المؤرخ التونسى قد شاهد بنفسه فى مكتبة السربون تراث ديكارت وقرأ تعليقه على رسالة المنقذ من الضلال -

بالفرنسية ، وهو المعنى الذى توصل إليه المرحوم محمد فريد وجدى فى الرد على كتاب الشعر الجاهلى عندما قال لطه حسين أن هذا المذهب : مذهب الشك حتى تصل إلى اليقين الذى يدعيه هو لديكارت هو مذهب إسلامى وأن الإمام الغزالى أول من طبقه

(خامساً) : ظل التراث الإسلامى مغموراً ، ومحجوباً عن المسلمين ، الذين دخلوا الجامعات التى قدمت لهم العلوم التجريبية والسياسية والاجتماعية على أنها علوم غربية خالصة فقد بدأت الحلقة الأولى بفرانسيس باكون على أنه منشيء العلم التجريبى حتى جاء الإنصاف من علماء غربيين أمثال درابر ، وكارليل ، وجوستاف لوبون . الذين أعلنوا أن (باكون) هو تلميذ المسلمين وأن مثقفى الغرب هاجروا إلى الأندلس واستمعوا إلى علماء المســـلمين وأن المنهج العلمى التجريبى هو من صناعة المسلمين (جابر بن حيان وابن الهيثم والبيرونى وغيرهم) ثم جاءت الدكتورة سجريد هونكه فكشفت هذه الصفحة الرائعة فى كتابها (شمس الله تشرق على الغرب) .

وقد تبين دور المسلمين العظيم فيما قدموه من بدايات وإضافات لعلوم كثيرة ليست العلوم التجريبية والطبية والفلكية وحدها ولكن فى علوم السياسة والاجتماع والاقتصاد والتربية مما يعد فى نظر المثقفين (الطابق الأول) للحضارة المعاصرة .

(سادساً) : تكشف فى السنوات الأخيرة مدى عظمة المخطوطات الإسلامية المجموعة عن المسلمين فى مكتبات لندن وفرنسا وإيطاليا وهى تقدر بحوالى مليونى مخطوط ، حتى لقد قيل أن تاريخ النهضة الإسلامية لا يمكن أن يكتب على وجه حقيقى إلا بعد تصوير ومراجعة هذه المخطوطات التى تتصل بكل علم وفن اشترك فيه المسلمون ، والمعروف أن هذا التراث المخطوط قد سرق من مساجد المسلمين ونقل إلى الغرب تحت تأثير وبرعاية القناصل الأجانب وأن الغرب قد أفاد من هذا التراث فائدة ضخمة ظهرت فى عديد من نظرياته الاقتصادية والقانونية بل أنه قد حجب عن المسلمين والعرب فإن عدداً من الباحثين ذهب إلى الغرب ليسأل عن مخطوطة معينة فمنع من النظر فيها .

(سابعاً) : ظهرت فى السنوات الأخيرة دعوة إلى الاصالة فى بناء العلوم على أساس إسلامى ، فظهرت دراسات عن الاقتصاد الإسلامى وعلم النفس الاسلامى وعلم الاجتماع الإسلامى بعد أن اتضح فساد العلوم الغربية وعدم تجاوبها مع الفطرة الإسلامية وحاجة المسلمين إلى تقديم منهجهم القرآنى الأصيل .

كما ظهرت فى السنوات الأخيرة الدعوة إلى تقنين الشريعة الإسلامية وخطت خطوات واسعة فقد قامت جماعات من الفقهاء وعلماء القانون بإعداد القوانين الخاصة بالتجارة والحدود ، والردة ، وكان عدد

كليات الحقوق فى الجامعات العربية قد نادوا بالتخلص من هذه القوانين المتباينة فى البلاد العربية والرجوع إلى الشريعة الإسلامية باعتبارها إحدى خصائص ومقومات الأمة وأهم تراثها الثقافى .

كذلك فقد رد اعتبار الشخصيات المخلصة التى ضللها النفوذ الاستعمارى كالسلطان عبد الحميد وتوضحت حقائق كثيرة فى تاريخ الإسلام فى العصر الحديث بعد أن ظهرت بروتوكولات صهيونية وعدد من الوثائق وعرف الناس خداع وتضليل من أسمو أعلام الفكر وقادة النهضة من أمثال قاسم أمين ولطفى السيد وعلى عبد الرازق وطه حسين وجرجى زيدان وسلامه موسى .



رقم الإيداع / ٨١٠٣ / ٩٠

مطبعة دار البيان بمصر
ت/ ٩٩٨٦١٩

تليفون / ٢٩١٢٣١٠